معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الخامسة، العدد السادس، ٢٠١٠

عبد الحميد محمد عبد العزيز عل

القيم التربوية في قصة كعب بن مالك في غزوة تبوك دراسة في ضوء القرآن الكريم

Abstract

This paper discusses the story of Ka'ab ibn Malik; one of the three Companions who did not participate in the Battle of Tabuk. In the first place, the biography of this great Companion is presented based on the verses from the Quran and hadiths of the Prophet. This is followed by the educational values that could be derived from this incident. These include the values of truthfulness, social participation, admitting one's mistake, compassion, patience, and others that could be benefited in the education of Muslims as members of the society and state.

مقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد، فقد تناولت في هذه الدراسة بعض القيم التربوية في حديث الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، أحد المخُلفين عن غزوة تبوك، حيث اشتمل ما حدث معه وصاحبيه الكريمين على قيم تربوية عظيمة يجدر بكل منا أن يعيها جيداً ويستفيد منها فى حياته، كما تضمنت القصة أيضاً كثيراً من الفوائد

العلمية والتشريعية التي تعرض لها كبار العلماء جزاهم الله خيراً، وقد ركّزت جهدي على القيم التربوية أكثر من غيرها، آملاً من الله تعالى أن يَمُنَ علىَ بالتوفيق فهو جواد كريم، وأن يسامحني إن زل عقلي وقلمي آمين.

وقد أوصى "إبراهيم الحارثي"؛ بضرورة التوجه إلى تراثنا الإسلامي، وقيمنا الحضارية الإسلامية، واستخراج القيم التربوية والسجايا العقلية التي نحن بحاجة ماسة إليها؛ لإنجاز كثير من الأهداف المعرفية والوجدانية والسلوكية، فالقيم لها أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ومن ثمّ ينبغي المحافظة على قيمنا الإسلامية الفاضلة وتنميتها لدى النشء، فتلك غاية نبيلة ينبغي المجاهدة من أجلها، وخصوصاً في عصرنا هذا. [١]

فإذا كانت المناهج التربوية تستمد أهدافها من الفلسفات التي تقوم عليها المجتمعات، لذا فإن القيم التي يتبناها أفراد المجتمع هي المحرك الأساسي لأفكار وأقوال وأفعال أفراد المجتمع، كما إنها الدافعة للمجتمع للمحافظة على التراث وعدم الذوبان في الثقافات المتنوعة التي اجتاحت المجتمعات، ومن ثمّ فهي المكون الأساسي لشخصية المجتمع ومساعدته على البقاء والتطور، ولقد ازداد في عصرنا هذا الصراع بين القيم مع وجود هذا الكم الهائل من الثقافات العالمية، وما تحويه من قيم غثها وثمينها، مع توفي سهولة التواصل بين أبناء الثقافات المختلفة، والديانات المختلفة، والأخلاقيات، وخصوصاً بين فئة الصغار وأنصاف المتعلمين الذين استطاعوا في فترة قصيرة إتقان وسائل التواصل التي يعجز الكبار عن مجاراتهم فيها، فلم يعد لبلد هوية لدى تلك الفئة، ويخشى على أمثال هؤلاء من ضياع الهوية وعدم انضباط المنظومة القيمية، وخصوصاً مع قلة الثقافة التراثية الخاصة بهم، فلم تعد الهوية نقية وناصعة البياض كما كنا نعتقد، فلقد أضحت القنوات الفضائية وشبكات الاتصالات والبرامج المختلفة في متناول الصغار

---

١ - الحارثي، إبراهيم محمد (٢٠٠٢) : العادات العقلية وتنميتها لدى التلاميذ، الرياض : مكتبة الشقري، ص٧٣.

قبل الكبار، لذا فنحن بحاجة إلى إظهار قيمنا التربوية الإسلامية الأصلية والتي كانت سبباً في انتشار الإسلام الحنيف، فالتاريخ يسطر بملء الافتخار والإعجاب أن الإسلام وصل إلى جنوب الهند وسيلان، وإلى التبت وسواحل الصين، وإلى الفلبين وجزر أندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو، ووصل إلى أواسط أفريقيا فى السنغال، ونيجيريا، والصومال، وتنزانيا، ومدغشقر، وزنجبار، وغيرها من البلاد..، وذلك بواسطة تجار مسلمين، ودعاة صادقين أعطوا الصورة الصادقة عن الإسلام في سلوكهم وأمانتهم ووفائهم، وبالكلمة الطيبة" [٢].

وقد حاولت قدر جهدى من خلال هذه الدراسة إظهار بعض القيم العظيمة التى كانت وستظل سبباً فى سعادة البشرية وهنائها إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

وقسمت هذا البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو التالي :

أما المقدمة : فهي التي بين أيدينا الآن، وفيها أهمية البحث وخطة دراسته.

وأما المبحث الأول : فعن التعريف بالصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، وقصة تخلفه عن غزوة تبوك.

ةفيه مطلبان : المطلب الأول : التعريف بالصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه.

المطلب الثاني : قصة كعب رضي الله عنه في تخلفه عن غزوة تبوك.

المبحث الثاني : المقصود بالقيم التربوية، وأهميتها.

المبحث الثالث : القيم التربوية في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه :

الصدق – الوفاء – الكرم – المشاركة الاجتماعية – الإخلاص – الاعتراف بالخطأ والتماس العفو –

---

٢ – راجع : علوان : عبد الله ناصح (١٩٨١) : تربية الأولاد في الإسلام، بيروت : دار السلام للطبع والنشر والتوزيع، ٦٥٢/٢.

الصبر – نسيان أفعال البر– الصمود والصلابة النفسية – المقاطعة لتعديل السلوكيات الخاطئة.

الخاتمة : وفيها نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول : التعريف بالصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه وقصة تخلفه عن غزوة تبوك

المطلب الأول : التعريف بالصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه.

هو الصحابي الجليل كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي العقبي، شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خُلفوا عن غزوة تبوك، فتاب الله عليهم، شهد العقبة، وله عدة أحاديث تبلغ الثلاثين، اتفق البخاري ومسلم على ثلاثة منها وانفرد البخاري بحديث ومسلم بحديثين.

روى عنه بنوه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن ومحمد ومعبد، بنو كعب، وروى عنه ايضاً : جابر وابن عباس وأبو أمامة وعمر بن الحكم وعمر بن كثير بن أفلح وآخرون، وحفيده عبد الرحمن بن عبد الله، وقيل كانت كنيته في الجاهلية أبا بشر، وقال ابن أبي حاتم كان كعب من أهل الصفة وذهب بصره في خلافة معاوية، وقد ذكره عروة في السبعين الذين شهدوا العقبة، وعن كعب لما انكشفنا يوم أحد كنت أول من عرف رسول الله ﷺ وبشرت به المؤمنين حياً سوياً وأنا في الشعب فدعا رسول الله ﷺ كعبا بلأمته[٣] وكانت صفراء فلبسها كعب وقاتل يومئذ قتالاً شديداً حتى جرح سبعة عشر جرحاً، قال ابن سيرين كان الشعراء من أصحاب رسول الله ﷺ حسان بن ثابت وعبد

---

٣ - بِسُكُونِ الْهَمْزَة، هِيَ الدِّرْع وَاسْتَلْأَمَ لِلْقِتَالِ إِذَا لَبِسَ سِلَاحه كَامِلًا، ابن منظور : محمد بن مكرم، لسان العرب، الناشر : دار صادر، بيروت الطبعة الأولى، بدون تاريخ، ٥٤٧/٢.

الله بن رواحة وكعب بن مالك، قال عبد الرحمن بن كعب عن أبيه : يا رسول الله قد أنزل الله في الشعراء ما أنزل، قال إن المجاهد مجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكأنما ترمونهم به نضح النبل، قال ابن سيرين : أما كعب فكان يذكر الحرب، يقول فعلنا ونفعل ويتهددهم، وأما حسان فكان يذكر عيوبهم وأيامهم، وأما ابن رواحة فكان يعيرهم بالكفر، قال ابن سيرين : فبلغني أن دوساً إنما أسلمت فَرَقاً من قول كعب بن مالك :

قضينا من تهامة كل وترٍ ... وخيبر ثم أغمدنا السيوفا

نخبرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن دوساً أو ثقيفا

عن الهيثم والمدائني أن كعبا مات سنة أربعين وروى الواقدي أنه مات سنة خمسين وعن الهيثم بن عدي أيضا أنه توفي سنة إحدى وخمسين.[٤]

المطلب الثاني : قصة كعب رضي الله عنه في تخلفه عن غزوة تبوك :

يقول الله تعالى : ﴿ وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[٥] وقد ساق هذه القصة الإمام مسلم في صحيحة بسنده إلى كعب بن مالك -رضي الله عنه- قال : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلاَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَد تَخَلَّفَ عَنْهَا. إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ, وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ توثقنا عَلَى

---

٤ - انظر ترجمة كعب بن مالك رضي الله عنه في : الذهبي : أبو عبد الله محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء٢/٥٢٣، والعسقلاني : أحمد بن حجر، الإصابة ٥/٦١٠، الناشر دار الجيل، وابن عبد البر، الاستيعاب ١/ ٤١٠، والكاشف للذهبي ٢/١٤٨.

٥ - سورة التوبة (١١٨-١١٩).

الإسْلاَم، وَمَا أُحِبُّ أَنّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النّاسِ مِنْهَا. كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ. وَاللّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللّهِ – صلى الله عليه وسلم– يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاّ وَرّى بِغَيْرِهَا، حَتّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ غَزَاهَا رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ– يُرِيدُ الدّيوَانَ– قَالَ كَعْبٌ : فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيّبَ إِلاّ ظَنّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللّهِ. وَغَزَا رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثّمَارُ وَالظّلاَلُ، وَتَجَهّزَ رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتّى اشْتَدّ بِالنّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا. فَقُلْتُ أَتَجَهّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. ثُمّ غَدَوْتُ، ثُمّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا. فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدّرْ لِي ذَلِكَ فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النّاسِ– بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– – فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنّي لاَ أَرَى إِلاّ رَجُلا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النّفَاقُ، أَوْ رَجُلا مِمّنْ عَذَرَ اللّهُ مِن الضّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم– حَتّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ : «مَا فَعَلَ كَعْبٌ؟» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ. فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ : بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاّ خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللّهِ –صلى الله عليه وسلم، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمّا بَلَغَنِي أَنّهُ تَوَجّهَ قَافِلاً حَضَرَنِي

هَمّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكّرُ الكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي.

فَلَمّا قِيلَ : إِنّ رَسُولَ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَدْ أَظَلّ قَادِمًا زَاحَ عَنّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمّ جَلَسَ لِلنّاسِ، فَلَمّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المُخَلّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ- وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَلاَنِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللّهِ. فَجِئْتُهُ، فَلَمّا سَلّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسّمَ تَبَسّمَ المُغْضَبِ ثُمّ قَالَ : «تَعَالَ»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي : «مَا خَلّفَكَ؟» أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟ فَقُلْتُ: بَلَى إِنّي وَاللّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلا، وَلَكِنّي وَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنّي لَيُوشِكَنّ اللّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيّ، وَلَئِنْ حَدّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيّ فِيهِ إِنّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللّهِ، لاَ وَاللّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللّهِ مَا كُنْتُ قَطّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنّي حِينَ تَخَلّفْتُ عَنْكَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- : «أَمّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتّى يَقْضِيَ اللّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ. وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتّبَعُونِي فَقَالُوا لِي : وَاللّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُخَلّفُون، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللّهِ -صلى الله عليه وسلم- لَكَ.

فَوَاللّهِ مَا زَالُوا يُؤَنّبُونني حَتّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذّبَ نَفْسِي. ثُمّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا : نَعَمْ، رَجُلاَنِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ. فَقُلْتُ مَنْ هُمَا؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرّبِيعِ العَمْرِيّ وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيّةَ الوَاقِفِيّ، فَذَكَرُوا لِي

رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي. وَنَهَى رَسُولُ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، فَتَغَيَّرُوا لَنَا، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ. فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللّٰهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ. فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللّٰهِ، هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ. فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ. فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَقَالَ : اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ.

قَالَ : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ : حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّٰهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهُ : وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ.

فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا. حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- يَأْتِينِي فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ : لاَ. بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ. فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى

يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ : فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ. لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ : «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ. فَقُلْتُ: وَاللهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌ. فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ كَلاَمِنَا. فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ: قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ. قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. وَآذَنَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- بِتَوْبَةِ اللهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُوننَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِن الفَرَسِ. فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ. وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ. وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- فَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ يَقُولُونَ : لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِن المُهَاجِرِينَ غيرُه، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِن السُّرُورِ : «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ

أُمُّكَ». قَالَ قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ؟ قَالَ : «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ. فَلَمّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ إِنّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللّٰهِ وَإِلَى رَسُولِهِ. قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- : «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ : فَإِنّي أُمْسِكُ سَهْمِي الّذِي بِخَيْبَرَ. فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللّٰهِ إِنّ اللّٰهَ إِنّمَا نَجّانِي بِالصّدْقِ وَإِنّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدّثَ إِلاّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ. فَوَاللّٰهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِن المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللّٰهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ- مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحْسَنَ مِمّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمّدْتُ مُذْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللّٰهُ فِيمَا بَقِيتُ. وَأَنْزَلَ اللّٰهُ -عز وجل- عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- ﴿ لَقَدْ تَابَ اللّٰهُ عَلَى النّبِيّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الّذِينَ اتّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ إلى قَوْلِهِ- : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصّادِقِينَ ﴾[٦]

فَوَاللّٰهِ مَا أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطّ- بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلاَمِ- أَعْظَمَ، فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِ رسول اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنّ اللّٰهَ قَالَ لِلّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ -عز وجل : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٧] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنّ اللّٰهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ كَعْبٌ : وَكُنّا تَخَلّفْنَا أَيّهَا الثّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللّٰهِ -صلى الله عليه وسلم- أَمْرَنَا حَتّى قَضَى اللّٰهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ

---

٦ - سورة التوبة / ١١٧-١١٩.

٧ - سورة التوبة / ٩٥.

قَالَ اللهُ : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ أ.هـ [٨]

المبحث الثاني : المقصود بالقيم التربوية, وأهميتها

الشيء القيم: ذو القيمة الكبيرة , وهو أيضاً الثابت المستقيم الذي لا اعوجاج فيه وقدجاء في القران الكريم "... ذلك الدين القيم" [٩]، أي المنهاج القويم الصحيح الشامل الحق. والقيم الثابت المستقيم الذي لا التواء فيه ولا اعوجاج. قال تعالى" ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا. قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ [١٠]

فقوله قيماً : أى مستقيما معتدلاً لا ميل فيه ولا زيغ. [١١]

ومن ثم فإن القيمة هي قدر الشيء، الشيء القيم أي النفيس الغالي الذي ينبغي المحافظة عليه.

ويعرف "حامد زهران"، القيم بأنها عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط، والقيم موضوع الاتجاهات فهي تعبر عن دوافع الإنسان، وتمثل الأشياء التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها. [١٢]

---

٨ – النيسابوري : مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، كتاب التوبة باب : باب حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، بشرح النووي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢، ٨٧/١٧ وما بعدها.

٩ – سورة التوبة / ٣٦.

١٠ – سورة الكهف /١، ٢.

١١ – راجع: الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، الناشر : دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، ١٣٥/٥ بتصرف.

١٢ – زهران : حامد عبد السلام، (١٩٧٣) : علم النفس الاجتماعي، ط٢، القاهرة : عالم الكتب، ص١٥٦.

وقد ذكر "شوارتز وبلسكى" "Schwartz and Bilsky" أن القيم عبارة عن مفاهيم أو تصورات للمرغوب، تتعلق بشكل من أشكال السلوك، أو غاية من الغايات، وأنها تعلو أو تسمو على المواقف النوعية، ويمكن ترتيبها طبقاً لأهميتها النسبية.[١٣]

ويرى "فؤاد أبوحطب"، أن القيم مجموعة من الأحكام التي يصدرها الفرد على بيئته الإنسانية والاجتماعية والمادية، وهى في بعض جوانبها نتيجة تقويم الفرد أو تقديره، إلا أنها في جوهرها نتاج اجتماعي إستوعبه الفرد وتقبله بحيث يستخدمها كمحكات أو مستويات أو معايير ويمكن أن تحدد إجرائيا في صورة مجموعة استجابات التقبل أو التفضل أو الالتزام.[١٤]

فمن معانى القيمة إستحقاق أمتياز أى شيء أو هى غاية أوهدف اجتماعى مرغوب في تحقيقه، ومع أن القيمة تعزى للشيئ فهى تعامل بأجلال وتعظيم valuing transaction.

ويذكر "قاسم الصراف"، أن القيمة هي أي شيء يعطيه الإنسان وزناً معنوياً، وهى أي شيء يؤدى إلى الارتقاء بحياة الإنسان أو يحافظ على بقاء الإنسان كالحرية والسلام،..، والقيمة التربوية هي أي شيء ضروري من الناحية الموضوعية أو الذاتية لرعاية عمليات التعلم للفرد في مراحل نموه المختلفة.[١٥]

ومن القيم ما يرتبط بالدين فتسمى قيم إيمانية أو دينية ومنها ما يرتبط بتوجيه سلوك الأفراد فتسمى قيم تربوية ولا مانع من أن تكون القيمة دينية تربوية في آن واحد، فإن الدين هو أساس كل قيمة في حياتنا، ومن القيم ما يلمس الوجدان والشعور فيطلق عليها العلماء القيم الجمالية، ويمكن أيضاً أن تكون القيمة تربوية دينية جمالية.

---

13 - Schwartz s.H. and Bilsky w., (1987) : Toward A universal psychological structure of human values, journal of personality and social psychology, 53,3,p. p.550-562.

١٤ – أبو حطب: فؤاد عبد اللطيف (١٩٩٠) : القدرات العقلية، القاهرة : الأنجلو المصرية، ص٥٥.

١٥ – الصراف : قاسم (١٩٩٥)، المفاهيم التربوية للقيم المتعلقة بالتسامح في مناهج المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم التربوية، مركز البحوث التربوية والمناهج بالكويت، العدد ١٣، السنة ٥، ص٦-١٥.

"والقيم تتسم بأنها إنسانية وذاتية، كما أنها تتأثر بالخبرات السابقة، كما تعمل على توجيه السلوك، وأنها غاية في حد ذاتها يسعى الأفراد إلى الوصول إليها، وتتأثر الشخصية بحد كبير بالنماذج القيمية value patterns التي توجد في الثقافة السائدة. ومن المتوقع أن يختلف التنظيم القيمى باختلاف الحضارة، والثقافة التي يتواجد فيها الناس، كما تختلف باختلاف الطبقة أو المجال الإجتماعى، كما تتأثر بما يتعرضون له من خبرات خاصة" [١٦].

والقيم والدوافع والاتجاهات والمعتقدات مكتسبة وتتأثر بالتعلم الاجتماعي أو هي نتيجة له ...، ومن ثم فهي عرضة للتغيير نتيجة التوصل لمعلومات جديدة، كما تسهم الأنساق القيمية في فهم الدوافع التي تقف وراء السلوك الإنساني، وذلك نظراً لتأثير هذه الأنساق القيمية على طموحات الأفراد وتحديد اختياراتهم وقراراتهم.

ويستقى الفرد قيمه من الأسرة وجماعة الرفاق، والمؤسسات المدرسية، ووسائل الأعلام وجميعها تساهم في غرس القيم وتدعيمها لدى الأفراد، وقد تساهم أحياناً في تكوين قيم غير مرغوب فيها.

ويرى بعض العلماء أن القيم تصدر من خارج الفرد ويعمل الدين على تدعيمها، ويرى آخرون أن القيم مصدرها الثقافة التي يحيا الناس في ظلها، ويؤكد بعضهم أن القيم تتصف بالثبات النسبى وذلك نظراً لارتباط الفرد بها وجدانياً، والمجتمع له دور فعال في تثبيت القيم وتطورها.[١٧]

---

١٦ – فهمي : مصطفى، القطان : محمد (١٩٧٥) : علم النفس الاجتماعي : دراسات نظرية وتطبيقات عملية، القاهرة : الأنجلو المصرية، ص١٩٦.

١٧ – انظر في ذلك : العيسوي : عبد الرحمن، (١٩٨٥) دراسات في علم النفس الإجتماعي، الإسكندرية، درا المعرفة الجامعية، ص١٥٢، عبد الرحمن : سعد (١٩٧١) : السلوك الإنساني، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ص٥١٠، حسين : نازلي إسماعيل (١٩٨١) : الإنسان والقيم في الشرق والغرب، القاهرة : جامعة عين شمس، مكتبة كليه البنات، ص٤٠، جابر : جابر عبدالحميد (١٩٨٤) دراسة الفروق بين القيم لدى ثلاث عينات قطرية وفلسطينية وعربية عامة، جامعة قطر: مركز البحوث التربوية، ص٧-٤٩.

ومن ثمّ فإن القيم من عوامل استقرار المجتمع ، والمحافظة على هويته، التى تجعل له كياناً وسط هذا العالم الذى يموج بمتغيرات تستلزم المحافظة على قيمنا العربية الأصيلة، المستمدة من الدين، حتى نكون فى مأمن من القيم الغريبة الوافدة على مجتمعنا، وخصوصاً فى ظل هذا التقدم غير المسبوق فى وسائل التواصل.

المبحث الثالث : القيم التربوية في قصة كعب بن مالك رضي الله عنه

إن قصة كعب بن مالك رضي الله في تخلفه عن غزوة تبوك؛ مليئة بالدروس النافعة والقيم التربوية السامية؛ مما يجعلها مثالاً يحتذي في اكتساب القيم والمباديء، وسوف نعيش الآن معها في أحداثها وجوانبها المضيئة نتعلم منها ونتتلمذ على هؤلاء العظماء صحابة النبي صلى الله عليه وسلم, عسى أن ينتفع بها شبابنا بل مجتمعنا كله، ومن القيم التربوية المهمة فيها :

أولاً: الصدق :

وهو من أهم القيم التربوية التي نتعلمها من القصة، وهولغةً : ضد الكذب، يقال : هو رجلُ صدقٍ وصديقُ صدقٍ؟ أى صادقُ الرجولة والصداقةِ لا يخون، وهو من الصفات الحميدة بل ومن أفضل الصفات الإنسانية على الإطلاق؛ ومن يتسم به يكون لبنة صالحة فى المجتمع؛ فهو يسهم فى استقرار حياة الفرد، ويعمل على تقوية العلاقات الاجتماعية.

واصطلاحاً : قول المرء الحق ومطابقة الكلام للواقع، وقد أمر الله تعالى به في القرآن الكريم فقال في الآيات التي معنا "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [١٨]، وقد أثنى الله عز وجل على الكثير من أنبيائه ورسله بالصدق، فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : "واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقًا نبيًا" [١٩]، وقال

---

١٨ - سورة التوبة/ ١١٩.

١٩ - سورة مريم/٤١.

عن نبيه إسماعيل عليه السلام "واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًا" [٢٠].

وقد لقب الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بالصادق الأمين، ويجب على المسلم أن يكون صادقًا مع الله ومع الناس وحتى مع نفسه وقد أثنى الله عز وجل على الصادقين بأنهم أهل الجنة، وأهل الرضوان قال تعالى "قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم" [٢١]، وقد وصانا النبي صلى الله عليه وسلم بالصدق حيث قال : « عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ وَإِنّ الْبِرّ يَهْدِى إِلَى الْجَنّةِ وَمَا يَزَالُ الرّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرّى الصِّدْقَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ صِدّيقًا وَإِيّاكُمْ وَالْكَذِبَ فَإِنّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ وَإِنّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النّارِ وَمَا يَزَالُ الرّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرّى الْكَذِبَ حَتّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللّهِ كَذّابًا ». [٢٢]

أما قيمة الصدق في قصة صاحبنا كعب بن مالك فلقد علم الرجل قيمة الصدق وأنه يهدي إلى البر ثم إلى الجنة، فاختاره طريقاً، لأنه علم أن المؤمن لا يكذب "يقول كعب بن مالك لرسول الله حين جلس إليه : إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر، وقد أُعطيت جدلاً (فصاحة وقوه في الحجة والدليل)، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجدُ عليّ فيه (تغضب) إني لأرجو فيه عقبى الله ـــ والله ما كان لي عذر ـــ والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك".

---

٢٠ – سورة مريم/ ٥٤.

٢١ – سورة المائدة/ ١١٩.

٢٢ – النيسابوري : مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب : باب قُبْحِ الْكَذِبِ وَحُسْنِ الصِّدْقِ وَفَضْلِه، ٢٩/٨، الناشر : دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة ـــ بيروت.

فعلى الرغم من توفر المؤهلات للخروج من موقف كعب بن مالك من حيث فصاحة اللسان وقوة الحجة ، ورجاحة العقل ؛ إلا أن الرجل استحضر الله معه، وشعر بوجوده، وأنه يراه ويعلم صدقه من عدمه لذا اختاره ففيه النجاة، حتى لو رأى آخرون فيه الهلكة، عـــــلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، شعر الرجل بقيمة العلم لدى الله سبحانه وتعالى، فأين يذهب و بين من يختفي؟ وقد أحاط الله بكل شي علما، تغلغل اليقين والإيمان فى قلبه، فصدق فتاب الله عليه لأنه يعلم أن الله لن يضيعه أبداً.

يقول الإمام ابن القيم ضمن ذكر الفوائد التي اشتملت عليها القصة : ومنها : توفيقُ اللهِ لكعب وصاحبيه فيما جاؤوا به من الصدق، ولم يخذلهم حتى كذبوا واعتذروا بغير الحق، فصلُحت عاجلتهم، وفسدت عاقبتهُم كلّ الفساد، والصادقون تعبوا فى العاجلة بعضَ التعب، فأعقبهم صلاح العاقبة، والفلاح كُلّ الفلاح، وعلى هذا قامت الدنيا والآخرة، فمراراتُ المبادى حلاوات فى العواقب، وحلاوات المبادي مرارات فى العواقب. وقول النبيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ لكعب : "أما هذا، فقد صدق"، دليلٌ ظاهر فى التمسك بمفهوم اللّقب عند قيام قرينة تقتضى تخصيص المذكور بالحكم، زاد المعاد.

وقول كعب : هل لقى هذا معى أحد؟ فقالوا : نعم، مرارة بن الربيع، وهلال بن أُمية، فيه أن الرجل ينبغى له أن يردّ حرّ المصيبة بروح التأسى بمن لقى مثل ما لقى، وقد أرشد سبحانه إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَهِنُواْ فِى ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ، إِنْ تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ ﴾[٢٣]، وهذا هو الروح الذى منعه الله سبحانه أهلَ النارِ فيها بقوله : ﴿ وَلَن يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾[٢٤]. [٢٥]

---

٢٣ – سورة النساء/١٠٤.

٢٤ – سورة الزخرف/٣٩.

٢٥ – ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة : السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ٣/٥٧٦- ٥٧٧.

وصِدْق كعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم دليل على ثبات الشخصية و قوتها وتوفر الثبات الانفعالي لديها حتى في المواقف الصعبة والقاسية على النفس، لم يخش من افتضاح أمره أمام أهله، وأمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمام الصحابة الكرام، لأنه يريد التوبة لا غير، وصارت القيم التربوية في قصته؛ نبراساً نهتدي به في حياتنا، وهذا هو ثواب الصادقين مع ربهم، أما في عصرنا هذا فإننا نعانى عوزاً شديداً في تلك القيمة بالذات في مناحي حياتنا المختلفة لدرجة احتار معها أحيانا أهل الاختصاص في معرفة هل ابنك يكذب عليك أو لا؟ أو هل ما تسمعه من أخبار هنا وهناك صدق أو كذب؟ وأصبح أبناؤنا وشبابنا يقضون الأوقات الطويلة أمام شاشات الكمبيوتر وفى غرف الشات يمارسون الكذب والخداع بشتى ألوانه، ومن خلال الألعاب الإليكترونية يعيشون هذا الفراغ الافتراضي القائم في أغلب أحواله على الكذب، إننا بحاجة إلى علماء في البرمجيات ذوو أخلاق، يستبدلون تلك الألعاب الهابطة القائمة على الكذب بأخرى صادقة تغرس القيم والمباديء والفضيلة، ثم نقوم بتسويقها فنساعد على نشر الفضيلة في شتى المجتمعات، فلا نكون مستهلكين فقط لهذه التكنولوجيا التي أصبحنا لا نستغني عنها.

إننا بحاجة ماسة إلى تمثل الصدق في كل أمور حياتنا واقعاً نعيشه ونلمسه ونربي الأجيال عليه حتى يشبوا على هذه الفضيلة التربوية الأصيلة في شرعنا، حتى نعيش سعداء في الدنيا ونفوز بالأجر العظيم من الله تعالى في الآخرة.

ثانياً : الوفاء :

وَفى : بالعَهْدِ وفاءً: ضِدٌّ غَدَرَ كَأَوْفَى والشيءُ وُفِيًّا كصُلِيّ : تَمّ وكثُرَ فَهو وَفِيٌّ وواف والدِّرْهَمُ المِثْقالَ : عَدَلَه. وأوْفَى عليه : أشْرَفَ وفلاناً حَقَّهُ : أعْطاهُ وافِياً كَوَفّاهُ

ووافاهُ فاسْتَوفاهُ وتَوَفّاهُ، والوَفاةُ، المَوْتُ، وتَوَفّاهُ اللّٰهُ : قَبَضَ رُوحَه، ووافَيْتُ العامَ : حَجَجْتُ، وأَوْفَى بنُ مَطَرٍ وعبدُ اللّٰهِ بنُ أبي أَوْفَى : صَحابِيّانِ,وتَوافَى القومُ : تَتامّوا.[٢٦]

وقد أمر الله تعالى به في القرآن الكريم فقال : "ووفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً" [٢٧]، الوفاء هو التزام الإنسان بما قطعه على نفسه من عهود ووعود, ومن الوفاء: الوفاء مع الله بإفراده بالعبادة ، ومن الوفاء؛ الوفاء بالنذر؛ وهو من صفات أهل الجنة يقول تعالى : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾[٢٨]، ويشترط أن يكون النذر في طاعة الله عز وجل، ومنه الوفاء بالعقود والمواثيق.

وتتجلى هذه القيمة(الوفاء) في سلوك كعب بن مالك رضي الله عنه، مع رسول ملك غسان حين جاءه في ظروف قاسية، و هو موقف يظهر منه معادن الرجال الحقيقيين، فلا تزيدهم الضغوط وقسوتها إلا ثباتاً على المبدأ وصموداً متجدداً، قال كعب كما في حديثه السابق الذكر : " : فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ : حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّٰهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا : وَهَذَا أَيْضًا مِن البَلاَءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا".

وعندما نتمعن تلك الظروف القاسية التى سبقت قدوم الرسالة من ملك غسان إليه، حيث جفوة المسلمين الشديدة على نفسه إلى هذا الحد كما قص علينا، وفى تلك اللحظة تأتيه الرسالة من ملك غسان، الذي ظن أنه يغتنم الفرصة ، ولكن كعباً لقنه درساً لا ينسى في الوفاء لدينه ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهو رضي الله عنه، لم يتردد لحظة واحدة على الرغم من الظروف الصعبة التى يمر بها، فقد أوقد التنور بالصحيفة إعلاناً

---

٢٦ – الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ص١٧٣١.

٢٧ – سورة الإسراء / ٣٤.

٢٨ – سورة الإنسان/٧.

لرفضه العاجل لما ورد بتلك الصحيفة، وفطن في نفس اللحظة لهذا الابتلاء، وكان رضي الله عنه وفياً لدينه ولرسول الإسلام علية الصلاة والسلام، وقد رغب رغبة صادقة فى أن يتوب الله عليه، وهكذا أهل الكفر دائماً فى كل زمان ومكان ينتظرون الفرصة التي يظنونها مواتيةً، فإذا بعباد الله المخلصين يفطنون لها، وهى رسالة من كعب لنا جميعاً، أن نحذر أهل الكفر، وأن نراعى تصرفاتنا معهم، كما يذكرنا أن نكون أوفياء لله ولرسوله ولا ننساق وراء الفرص التى نظنها ملاذاً بل ينبغى علينا أن نصبر حتى يأتي الله بالفرج، فأين نحن من قيمة الوفاء تلك، إن الابن يتنكر لأبيه، والأخ يتنكر لأخيه، والزوجة تتنكر لزوجها، نحن بحاجة ماسة لقيمة الوفاء تنبعث في حياتنا من جديد، فيستقر المجتمع وتسعد أفراده، ولا يكونون لقمة سهلة فى يد المتربصين الذين يبذلون كل غالٍ وثمين للوصول إلى أغراضهم ويتحول المجتمع إلى مجتكع متشاحن متطاحن فيعيش بلا قيم.

يقول ابن القيم رحمه الله: وفى مكاتبة ملك غسّان له بالمصير إليه ابتلاء من الله تعالى، وامتحان لإيمانه ومحبته لله ورسوله، وإظهار للصحابة أنه ليس ممن ضعف إيمانُه بهجر النبى صَلّى اللّٰه عَلَيْهِ وَسَلّمَ والمسلمين له، ولا هو ممن تحمِلُه الرغبة فى الجاه والملك مع هجران الرسول والمؤمنين له على مفارقة دينه، فهذا فيه من تبرئة الله له مِن النفاق، وإظهار قوة إيمانه، وصدقه لرسوله وللمسلمين ما هو من تمام نعمة الله عليه، ولطفه به، وجبره لكسره، وهذا البلاءُ يُظهر لُبّ الرجل وسره، وما ينطوى عليه، فهو كالكِير الذى يُخرج الخبيث من الطيب.

وقوله : "فتيممتُ بالصحيفة التنورَ"، فيه المبادرة إلى إتلاف ما يُخشى منه الفساد والمضرّة فى الدين، وأن الحازم لا ينتظر به ولا يُؤخره، وهذا كالعصير إذا تخمّر، وكالكتاب الذى يُخشى منه الضررُ والشر، فالحزم المبادرة إلى إتلافه وإعدامه.

وكانت غسّان إذ ذاك وهُم ملوك عرب الشام حرباً لرسول الله صَلّى اللّٰه عَلَيْهِ

وَسَلّمَ، وكانوا ينعلُون خيولَهم لمحاربته، وكان هذا لما بعث شجاع بن وهب الأسدى إلى ملكهم الحارث بن أبى شمر الغسّانى يدعوه إلى الإسلام.[٢٩]

إن الوفاء يجعل الإنسان يشعر بالرضا عن نفسه، ويساعد على زيادة الثقة في الذات، كما يعمل الوفاء على زرع الحب في قلوب الناس للشخص الوفي، ومن ثم يكتسب مكانة كبيرة بين الناس بسبب وفائه، فكن وفياً مع الله ومع الناس ولا تنظر إلى الناس هل يردون لك ذلك الوفاء يوماً ما أو لا، بل ابتغى الأجر والثواب من رب الأرض والسموات، وعليك أن تتخيل نفسك مثلاً بعد موتك بمدة طويلة, فإذا وضعت الناس فى اعتبارك بهذا الشأن فلن تجد من يحفل بحياتك بعد هذه المدة لأن معظمهم سيكون قد رحل عن الحياة بلا ريب، لذا فإنه من الأمور غير الهامة والجانبية أن تسخر حياتك على نحو يرضي الآخرين ويسعدهم حتى ولو كان غير صواب وعلى حساب حياتك وصحتك، ولكن ينبغي أن تطور حياتك على نحو يفيدك ويفيد الآخرين ويغرس فيهم المثل والقيم العليا.

ثالثاً : الكرم :

وهو ضد البخل, وهو قيمة تربوية, وصفة نبيلة ينبغي التخلق بها وتطبيقها في الواقع, ومعناه : أن تجود النفس بما تملك حتى ولو كان مما تحبه وتتعلق به، فالأفراد في أي مجتمع من المجتمعات؛ يتحدد سلوكهم طبقاً لما يوجد في المجتمع من مؤثرات خارجية، فضلاً عن المؤثرات الداخلية الخاصة بكل منهم، وسلوك الفرد ماهو إلا استجابة لهذه المؤثرات، ومن محددات السلوك الإنساني المتعددة: الاتجاهات والعادات والقيم والميول والحوافز والمبادئ والغرائز والحاجات والمعتقدات والمدركات والمفاهيم،

---

٢٩ – ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد ٥٨١/٣، مرجع سابق.

والمتأمل في قيم الأفراد كأحد العوامل التي تؤثر في سلوكهم يجد أن القيم تعطى لحياة الناس معنى وأهمية، كما أنها تتدخل إلى حد كبير في تشكيل شخصية الفرد، وإذا أردنا أن نتعرف على شخصية الأفراد لابد من التعرف على قيمهم أولاً" [٣٠].

وتتضح هذه الصفة وهي الكرم في تصرف كعب بن مالك رضي الله عنه مع مَنْ بشّره بالتوبة، فعلى الرغم من انشغال فكره بما كان فيه من مقاطعة المسلمين له وخوفه من غضب الله عليه، إلا أنه لما علم بتوبة الله عليه لم ينس أن يكون كريماً معه حيث أعطاه ثوبيه، فكساه إياهما ببشارته، على الرغم أنه كان لا يملك غيرهما يومئذ، فكان من الممكن أن يعطيه ثوباً ويبقى لنفسه الآخر، لكنه الكرم الذي يأبى إلا أن يعلن عن نفسه حتى في أحلك المواقف، هذا لأنهم وعوا كلام نبي الهدى جيداً حيث قال صلى الله عليه وسلم" السّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْجَنّةِ قَرِيبٌ مِنْ النّاسِ بَعِيدٌ مِنْ النّارِ وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللّهِ بَعِيدٌ مِنْ الْجَنّةِ بَعِيدٌ مِنْ النّاسِ قَرِيبٌ مِنْ النّارِ, وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللّهِ عَزّ وَجَلّ مِنْ عَالِمٍ بَخِيلٍ [٣١]، وهم تلامذة مَنْ كان أجود بالخير من الريح المرسلة صلى الله عله وسلم، الذي كان يعطي عطاء من لا يخشي الفقر؛ فعن أنس رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه ولقد جاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال:يا قوم أسلموا، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر"، وإن كان الرجل ليسلم لا يريد إلا الدنيا فما يلبث إلا يسيراً حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها" [٣٢].

---

٣٠ – راجع في ذلك : عواد : أحمد أحمد، محمد : خالد البدراوى (١٩٩٦) : البناء القيمى للشباب في المجتمع السيناوى، ومدى تقبل أهل سيناء وأبناء الوادي لقيم وعلاقات مجتمعية جديدة، ص٧٠١، المؤتمر الدولى الثالث لمركز الإرشاد النفسى، القاهرة : جامعة عين شمس، الفترة من ٢٣–٢٥ ديسمبر.

٣١ – الترمذي : محمد بن عيسى بن سورة، السنن، كتاب : الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ, بَاب مَا جَاءَ فِي السّخَاءِ ١١٦/٧.

٣٢ – ابن الأثير : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول، الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان، ٥/٥.

كما تتضح صفة الكرم تلك، في تصرف كعب بن مالك رضي الله عنه، حين أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً إن من توبة الله عليّ أن أنخلع من مالي كله صدقة لله ورسوله؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أمسك عليك بعض مالك فهو خيرُ لك"، إنها صفة الكرم التي تجعل النفس تسمو فوق تصرفاتها البشرية، فتجود بما تملك حباً لله ولرسوله ورغبة في رضا الله ورسوله فأين نحن الآن من هذه القيم التربوية الرائعة؟، وأين ذهبت بنا دروب الحياة حتى أصبحت تعتمد على المادية بدرجة كبيرة أودت بالمجتمعات إلى الكثير من المعضلات، أين نحن من هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنهم الذين سموا فوق أنفسهم فسما الله بهم فوق تصرفات البشر فصاروا مثلاً يحتذى، قل أن تجد له مثيلاً على مر التاريخ.

ويجلب الكرم الرزق والبركة فيه كما يؤدى إلى حب الناس واحترامهم ويجعل الإنسان محبوبًا من أهله وجيرانه وأقاربه والناس أجمعين، ويمكن للإنسان إن لم يكن كريماً أن يدرب نفسه على الكرم، ويعودها عليه صغيراً كان أو كبيراً، وعليه أن يعلم أن المال مِنَّهٌ من الله تعالى وملك له جل شأنه، وأنه نفسَه مِلْكٌ لله أيضاً، وأن ثواب البذل والعطاء عند الله عظيم، ويثق في الله، فلا يخاف الفقر إذا أنفق، فالله تعالى يخلف على عباده المنفقين.

رابعاً : المشاركة الاجتماعية :

المشاركة تعنى : مساعدة الناس بعضهم بعضًا في قضاء الحاجات وعمل الصالحات، وقد أمر الله تعالى بها فقال : "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" [٣٣]، ومشاركة الناس في شئون الحياة يعد ضرورة من ضروریاتها، إذ لا يتمكن الفرد الواحد أن يقوم بكل أعباء الحياة منفردًا، فلابد له من معاونين، لذا يحث

---

٣٣ - سورة المائدة/٢.

الرسول الكريم على ذلك في كثير من الأحاديث؛ منها ما روي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ قَالَ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ قَالَ فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ.[٣٤]

وهذا يجعل المؤمنين يشعر بعضهم بآلام بعض, فيواسي بعضهم بعضاً، ويشارك بعضهم بعضاً في السراء,كما وقع في القصة التي معنا حيث تسابق الصحابة رضي الله عنهم إلى تبشير كعب وصاحبيه بالتوبة عليهم من الله تعالى، فهذا يأتي بفرسه مبشراً، وهذا يستبطيء الفرس فينادى من على الجبل، وهذا ليس غريباً على مجتمع المؤمنين بالمدينة آنئذٍ، حيث كانوا كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، إنها قلوب صاغها الإيمان، وصهرتها روح المحبة والوئام، فكان منهم هؤلاء الأماجد الذين خلد الله ذكرهم في كتابه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهكذا المؤمن يشعر بإخوانه في كل الظروف، ويعاصر ما يتعرضون له ويشاركهم في كل أمورهم ويساعدهم فى التغلب على ما يواجههم من مشكلات وعقبات.

وتتجلى تلك القيمة لدى بطل قصتنا كعب بن مالك رضي الله عنه، فى سؤال النبى عليه الصلاة والسلام عنه؛ حيث تابع القائد رعيته، تعليماً للأمة، كما تابع الرعية أخبار بعضهم البعض، ودفاع بعضهم عن البعض عند الحاجة لذلك، أوعند معرفة الخير عن صاحبهم، كما تتضح تلك المشاركة فى التزام عباد الله المؤمنين بما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم كلام هؤلاء الثلاثة المخلفين عن الغزوة، وفي ذلك مشاركة فى تطبيق أسلوب العقاب من القائد حسبما يرى من أجل التقويم

---

٣٤ – النيسابوري : مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب : اللُّقَطَة، باب : بَاب اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ، ١٤٣/٩.

لسلوكيات رعيته، حتى يؤتى العقاب ثمرته المرجوة، وكذلك قيمة التعاون في القصة، حيث شاركت الزوجات في تطبيق تلك المقاطعة ولو كانت على أزواجهن.

إنها درجة عالية في الإنصاف من النفس، لا يصل إليها إلا أصحاب الهمم العالية, والقلوب النقية الصافية، أمثال كعب وصاحبيه.

كما تتضح المشاركة الاجتماعية أيضاً، في الاهتمام الشديد من المسلمين بأمر هؤلاء الثلاثة المخلفين، لدرجة أنهم بمجرد نزول التوبة لهم من الله تعالى؛ تسارعوا بأقصى درجة لإبلاغهم، حتى إن أحدهم لم ينتظر حتى يحضر إليه ليبشره ، فنادي من فوق الجبل، إنه الاهتمام والمشاركة الإيجابية في الحياة والبعد عن السلبية وإرساء للقيم السامية على الأرض، إنهم تلامذة النبي المعلم محمد علية الصلاة والسلام الذي أعاد الله به تنظيم القيم السائدة في المجتمع آنذاك، فأرسى القواعد الجيدة منها مثل العدل والكرم والشجاعة والتراحم, وطمس الظلم والعنصرية والتكبر واحتقار المخلوقين.

كما تتجلى تلك القيمة أيضاً فى تلقى كعب بن مالك للناس فوجاً فوجاً يهنئونه بالتوبة، يقولون لتهنك توبة الله عليك، إنهم لا يهنئونه على أمر من أمور الدنيا، ولا على مكسب من مكاسبها الفانية، إنهم يهنئونه بتوبة الله عليه، لقد أدرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم جيداً قيمة كل من الدنيا والآخرة ووضعوا كل واحدة في قدرها تماماً، إنه أمر ينبغي الوقوف عنده والتعلم منه الدرس النافع، من منا اليوم يهنئ أخاه على ماحباه الله من أخلاق طيبة، أو محافظة على أحكام شرعه؟، إن غالب تهنئتنا في هذه الحياة يتعلق بما فيها من أرباح ومكاسب، وما نحققه من طموحات ومناصب، وما نجمعه من أموال وعقارات, فلنتعلم التهنئة على الأمور الشرعية ولنجعل الشرع رائدنا في فرحنا وسرورنا ومشاركتنا لبعضنا البعض.

كما تتجلى أعلى درجات المشاركة؛ في تهلل وجه نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كأنه القمر ليلة البدر, فرحاً مسروراً بتوبة الله سبحانه وتعالى على هؤلاء الثلاثة

الذين خُلفوا، إنه شعور القائد بمشكلات الرعية الذي ينبغي أن نتمثله في حياتنا ونسير على نهجه.

(وقد أظهرت الدراسات أن المشاركة الاجتماعية تساعد الشخص في حل مشكلاته، وتعتبر مصدراً من مصادر الشعور بالأمن النفسي في بيئته التي يعيش فيها، وخصوصاً عندما تواجهه صعوبات وأخطار تهدده، وهذا يعمل على ترسيخ المعاني والقيم في المجتمع ويثبت له دوره فى إصلاح سلوكيات الأفراد).[٣٥]

أما دراسة "شيربورن" "Sherbourne" فقد أظهرت أن المساندة الاجتماعية ذات أثر في خفض شدة المعاناة من أحداث الحياة.[٣٦] ويؤكد "هشام عبد الله" على أن المساندة التي يحصل عليها الفرد من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية، تؤدي دوراً مهماً في خفض الآثار السلبية وذلك لمثيرات المشقة على صحته النفسية،..، فضلاً عن أنها مصدراً من مصادر الشعور بالأمن النفسي في بيئته التي يعيش فيها، وخصوصاً عندما تواجهه صعوبات وأخطار تهدده، فالمساندة الاجتماعية تلعب دوراً هاماً في إشباع الحاجة للأمن النفسي، وخفض مستوى المعاناة الناتجة عن شدة الأحداث الضاغطة، وذات أثر في تخفيف حدة الأعراض المرضية.[٣٧]

وقد أعطى العالم "كوب" عام ١٩٧٦ أهمية كبرى للدعم الاجتماعي، وذلك للتخفيف من آثار الضغوط الحياتية، (فإذا كان الإنسان محاطاً بمن يحبونه ويسهرون

---

٣٥ - رضوان : شعبان جاب الله، هريدي : عادل محمد (٢٠٠١) : العلاقة بين المساندة الاجتماعية وكل من مظاهر الاكتئاب وتقدير الذات والرضا عن الحياة، مجلة علم النفس، العدد الثامن والخمسون، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٧٢ — ٧٣ بتصرف.

36 - Sherbourne, C., (1988) : The role of social support and life stress events in use of mental health services, social science and medicine, vol., 27, 12, pp. 1393 – 1400.

٣٧ - عبد الله : هشام إبراهيم (١٩٩٥) : المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاكتئاب واليأس لدى عينة من الطلاب والعاملين، المؤتمر الدولي الثاني، مركز الإرشاد النفسي، كلية التربية، جامعة عين شمس، الفترة من ٢٥ — ٢٧ ديسمبر. ص٤٧٣.

على راحته، وإذا كان يشعر بقيمته وتقدير الآخرين له .. وإذا كان هناك شبكة من الاتصالات يستطيع أن يجدها عند الحاجة فتهب فـــوراً لمساعدته، فإننا نجد أن هذه العوامل تخفف من حدة الآلام النفسية التي يتعرض لها وبالتالي من نتائجها وتأثيرها على الجسم)" [٣٨].

وتلك الصفة تنمى لدى المؤمنين الشعور بالهوية والانتماء, والشعور بإخوانهم ومساندتهم، والفرح لفرحهم والحزن لألمهم ومشاركتهم ماهم فيه قدر الطاقة، وما وقع لأمتنا ما وقع من أزمات ونكبات إلا بسبب النزعات الفردية والأنانية وحب الذات، وقله التراحم.

خامساً : الإخلاص :

الإخلاص نعمة من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده المؤمنين، وهو سر بين العبد و خالقه، ويظهر عندما يوازن العبد بين ما يعرفه الناس عنه، وما يعلمه الله سبحانه وتعالى، فيكتفي بالله عن الناس، لأن الله يعلم صدقه من عدمه، فهو من القيم التربوية المهمة في حياة كل إنسان, وقد أمر الله به فقال : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾[٣٩] ونقرأ في القرآن الكريم أن الله تعالى طلب من ذوي التدين إخلاص النية وإصلاح الطوية فقال عز وجل : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[٤٠].

وفي شعب الإيمان للبيهقي ما يدل على أن الإخلاص أوثق عرى الإيمان حيث روى أَنّ رَسُولَ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ : "مَنْ أَعْطَى لِلّهِ وَمَنَعَ لِلّهِ، وَأَحَبّ لِلّهِ، وَأَبْغَضَ

---

٣٨ – الريس : سيد (١٩٩٨م) وداعاً للقلق، كتاب اليوم الطبي، العدد ١٩٥، القاهرة : دار أخبار اليوم, ص٢٠.

٣٩ – سورة الزمر/٢.

٤٠ – سورة البينة/٥.

لِلَّهِ، وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ" "وَرَوَى ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ الْإِنْكَاحِ، فَصَرَّحَ بِأَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ كُلَّهَا إِيمَانٌ، وَأَبَانَ أَنَّ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ الْإِخْلَاصُ " [٤١] وعلى العبد أن يسأل ربه الإخلاص ليوفقه له كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول : (وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ...)[٤٢]

وتظهر قيمة الإخلاص لدى كعب بن مالك من بداية خروج المسلمين للغزوة، وهو قد تردد في الخروج معهم، يقول فهممت أن أرتحل فأدركهم، فياليتني فعلت، ثم لم يفعل، كأن الأمر لم يكن بيده، فقد قدر الله تعالى له ذلك، وهذا يظهر في قوله تعالى (خُلفوا)، ثم قال: فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني، فحزنه دليل على إخلاصه، فإذا كان ما يتمناه حقاً هو عدم الخروج، فلماذا يحزن لذلك ؟، لذا فقد عاش فترة غيابهم في المعركة في حزن و ألم، ربما يضاهى ما عاناه معاناة مَنْ خرج للمعركة من المتاعب مع الفارق، ثم يتجلى إخلاص الرجل أيضا في إجماع أمره بينه وبين نفسه الصدق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم الخروج منه بعذر، وخاصة أنه كان قوي الحجة راجح العقل، ومن الممكن أن يكفيه استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم له، ولكن الرجل وصاحبيه كانوا مخلصين فقد كان الأمر لديهم يتعدى استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم، إنهم يريدون أن يتوب الله عليهم قبل أن يسامحهم رسوله، صلى الله عليه وسلم, إنهم يبغون رضا الله عنهم وقد نالوه، ثم صبرهم على العقوبة التي تعرضوا لها من مقاطعة المسلمين لهم بعدم كلامهم، وكذا اجتناب زوجاتهم، ولا يصبر على تلك المقاطعة الخارجية والداخلية إلا

---

٤١ – البيهقي : أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ الطَّاعَاتِ كُلَّهَا إِيمَانٌ، الناشر : مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، (١٤١٠)، ١/١٠٥.

٤٢ – النسائي : أحمد بن شعيب، سنن النسائي، كِتَاب السَّهْوِ بَاب الدُّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ، بدون تاريخ أوطبعة ٥/٩٠، حديث رقم (١٢٨٨).

أناس مخلصون استحضروا رضا الله تعالى ورغبوا فيه رغبة مخلصة مهما كانت المغريات الأخرى, مثل دعوة ملك غسان لكعب رضي الله عنه.

كما يتجلى موقف الإخلاص لدى كعب رضي الله عنه عندما خر ساجداً لله تعالى بمجرد سماعه البشارة بالتوبة، إذ الشكر لله وحده والمنة منه سبحانه، وليكن ما يكون بعد ذلك، ويتضح ذلك في قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم, لما بشره بالتوبة: أمن عند الله يارسول الله أم من عندك؟ فيقول له نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم؛ بل من عند الله، الرجل يريد أن يطمئن أن الله هو الذي تاب عليه ومَنّ عليه بالرضا، وليس غيره حتى ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا المخلصون دائماً يريدون أن يطمئنوا أن الأمر قادم ممن فطر السموات والأرض سبحانه وتعالى.

فما أحوجنا إلى أن نخلص فيما نأتي وما نذر، راجين الأجر والثواب من الله تعالى، وسمة الإخلاص تجعل الإنسان يعيش في سلام مع نفسه ومع الناس أيضاً، لأنه لا يبنى تصرفاته على ردود فعل الناس، بل إن تصرفاته محددة سلفاً بالحلال والحرام، فقانونها لديه موجود، وبناء عليه يسلك، ومن ثم لا تهزه أحداث الحياة وضغوطها، حتى وإن أثرت عليه فإن تأثيرها وقتي ينقشع مع تذكره ربه سبحانه وتعالى، وهذا يؤدى إلى قوة الشخصية وزيادة الثقة في الذات, ومن ثم حرية اتخاذ القرارات وعدم التردد فيها، وتلك قيمة عظيمة تساهم في تقدم المجتمعات ونموها وقلة تدهورها, ففي الإيمان بالله التحفيف من العزلة والغربة الروحية التي سيطرت على هذا العالم.

(وإخلاص المرء يجعله بعيداً عن الصراع القيمي الذي ينشأ حينما يكون الإنسان موزع الانتماء لأكثر من جماعة لكل منها قيمها الخاصة، والتي قد تتعارض مع قيم الجماعات الأخرى، أو عندما يفاجأ بمن يدعو إلى قيمة معينة، ولكنه في الممارسة يعمل بما يناقضها، أو عندما يكون هناك إلحاح من وسائل الاتصال على قيمة معينة بعينها

تعارض القيم التي يعتنقها، أو عندما ينشأ الفرد على قيمة معينة ولكنه يفاجأ بأنه مطالب بأن يعتنق السلوك من خلال قيم أخرى) [٤٣].

سادساً : الاعتراف بالخطأ والتماس العفو :

وهذه أيضاً من القيم التربوية المهمة في حياة الشخص :

وقد أشار ابن القيم رحمه الله تعالى، إلى بعض الحكم والفوائد التى اشتملت عليها قصةُ الثلاثة الذين خُلِّفُوا، فذكر منها : جواز إخبار الرجل عن تفريطه وتقصِيرِه فى طاعة الله ورسوله، وعن سبب ذلك، وما آل إليه أمرُه، وفى ذلك مِن التحذير والنصيحة، وبيانِ طُرُقِ الخير والشر، وما يترتب عليها ما هو من أهم الأُمور.[٤٤]

فلقد كان لدى الصحابى الجليل كعب بن مالك وصاحبية رضي الله عنهم من الثقة والشجاعة ما جعلهم يعترفون بأخطائهم، فى حين أن بعض الناس فى عالم اليوم يتملصون من عيوبهم وأخطائهم ويسعون جاهدين في سبيل تخبئتها وعدم ظهورها، فما بالنا بمن يعترف بالخطأ أمام الأبناء وأمام الأهل والأصحاب وأمام الناس جميعاً، ولا يضيره أن يصل خبره حتى بلاد الشام، لدى ملك غسان كل هذا أمره هين مادام أن الله يتوب عليه، إنه هنا يلقننا درساً فى الحق والإنصاف من النفس، فيا من تخافون أن تهتز مكانتكم من الاعتذار تعلموا، يا من تخافون أن تقل هيبتكم لدى العاملين لديكم أو تحت رئاستكم تعلموا، أنه يعلمنا درساً أن نسموا فوق أنفسنا، فالخطأ خطأ حتى لو صدر من صحابي جليل، والصواب صواب حتى لو صدر من أحد العبيد، إنه وضوح لمنظومة القيم

---

٤٣ – حنورة : مصري، وآخرون، (١٩٩٨) تطور منظومة القيم لدى الشباب الكويتي عبر خمسة عشر عاماً : دراسة تتبعيه مقارنة، المؤتمر الدولي الخامس لمركز الإرشاد النفسي : جامعة عين شمس، الفترة من ١-٣ ديسمبر.

٤٤ – ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٧٣/٣، مرجع سابق.

لدى أفراد المجتمع المسلم قلما تجد له مثيلاً، لذا هزم أعظم إمبراطوريات عصره، ولن تقوم لنا قائمة في العالم اليوم إلا بالعودة للمنظومة القيمية السليمة التي يحصل فيها كل ذي حق على حقه، إنهم تلامذة معلم الناس الخير محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان أشجع الناس، وقد علمهم الإنصاف من النفس بقوله وفعله, فقد أخرج الإمام البخاري في الصحيح في كتاب الإيمان بَاب إِفْشَاءُ السَّلَامِ مِنْ الْإِسْلَامِ وَقَالَ عَمَّارٌ ثَلَاثٌ مَنْ جَمَعَهُنَّ فَقَدْ جَمَعَ الْإِيمَانَ الْإِنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ وَالْإِنْفَاقُ مِنْ الْإِقْتَارِ" [٤٥].

وهكذا المسلم دائمًا يميل إلى الحق ويسارع بالاعتراف بخطئه والتوبة إلى الله منه، إنه الإنصاف من النفس في أحلك المواقف, يقول الله تعالى"﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤٦].

ويتضح ذلك مما جاء في قصة أبي البشر نبى الله آدم عليه السلام التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، فحينما أكل من الشجرة وعصى ربه، سارع باستغفار ربه حتى تاب الله عليه، وكذا نبي الله يونس عليه السلام لما التقمه الحوت، لجأ إلى مولاه مستغفرًا مستجيراً، حتى نجّاه الله تعالى، وغيرهما من أنبياء الله الذين أشار القرآن إليهم في طلبهم المغفرة من الله تعالى.

سابعاً : الصبر :

الصبر : هو حبس النفس عن الجزع، وترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله. وهو قيمة تربوية رائعة لا يمكن للمرء أن يعيش بدونها.

---

٤٥ – البخاري : محمد بن إسماعيل، الصحيح، كتاب الإيمان، باب : إفشاء السلام من الإسلام ١/٤٧.

٤٦ – سورة آل عمران/١٣٥.

ويجب على المرء أن يتلقى بنفس راضية ما يقع من مصائب وشدائد، والصبر أمر الله به في قرآنه حيث يقول "استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين" [٤٧]، وقد أمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم به يقول تعالى "فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل" [٤٨] وتحكى لنا كتب السيرة تحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاق في سبيل نشر الدين، فقابل كل ما تعرض له بالصبر الجميل، والصبر خلق الأنبياء فقد وصف الله سبحانه وتعالى الكثير من أنبيائه بالصبر، فقال جل شأنه "وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين، وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين" [٤٩].

وقد ضرب أنبياء الله ورسله -صلوات الله عليهم- أروع الأمثلة في الصبر حتى مَنّ الله عليهم بالنصر يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا.. ﴾[٥٠]، وقد قال الله سبحانه عن نبيه أيوب عليه السلام ﴿ ... إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٥١].

والتذرع بالصبر يعنى الحفاظ على الهدوء وأن يكون المرء مطمئناً بأن قضية من القضايا، كائنة ما كانت ستجرى في مسارها، وأن النجاح ليس إلا مسألة وقت، وأن مما يستأهل هذا العناء والجهد انتظار هذا الوقت, وأن يظل المرء ثابتاً عند قضيته" [٥٢].

والصبر مِنَّةٌ من الله تعالى على عباده المؤمنين, فمن يتصبر يصبره الله, كما أخبر بذلك نبي الهدى عليه الصلاة والسلام، والصبر ثوابه الجنة والصبر في قصة الصحابي الجليل كعب بن مالك وصحاحبيه رضي الله عنهما يتجلى في حُسن التصرف، ويظهر ذلك جلياً من خلال ما يلي :

---

٤٧ - سورة البقرة، / ١٥٣.

٤٨ - سورة الأحقاف/ ٣٥.

٤٩ - سورة الأنبياء/ ٨٦،٨٥.

٥٠ - سورة الأنعام/ ٣٤.

٥١ - سورة ص/ ٤٤.

٥٢ - بيتر وكميل (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥) نشط حياتك، برنامج النقاط الأثنتى عشر من أجل حياة أكثر نجاحاً، ترجمة محمد جديد، المملكة العربية السعودية، الرياض : مكتبة العبيكان، ص١٣٧.

أولاً : في صدقهم واعترافهم بتقصيرهم بعدم الخروج إلى الغزوة من ناحية، حيث يدل ذلك على قوة الشخصية وثباتها على المبدأ واعترافها بالخطأ الذي بدر منها، وعدم التناقض الداخلي، وزيادة التقارب بين الذات المثالية (ما تريده أن يكون) وبين الذات الواقعية المعاشة بالفعل في حياته، وهذا يؤدي إلى الاستقرار النفسي وعدم القلق أو الخوف أو التوتر الذي يجتاحنا اليوم بشتى صوره، لذا اعترف بالخطأ وثبت على ذلك، ومن ثَمّ صبر على كل ما تعرض له من جراء ذلك.

ثانياً : الصبر على كل مواجهة تعرضوا لها؛ من مقاطعة المسلمين لهم بأمر من الله تعالى عبر نبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم، وبالطبع فإن تلك المشكلات التى تعرضوا لها كانت نتيجة طبيعية للاعتراف، وكان من الممكن أن يتجنبوه لو لم يعترفوا بخطأهم، وهكذا دوماً الأنفس السوية، فحينما تختار الطريق وتختار السلوك مقتنعة عقلياً ومنطقياً بصحته، يتكون لديها استعداد نفسي متجدد يكون لها بمثابة الوقود الذي يعينها على الصبر دوماً، وعلى التحمل آملة في النصر القريب، والفرج الذي يهل عليهم فى لحظة من ليل أونهار، وهم فى انتظاره في عبادة لله تعالى فى خلال تلك الفترة التي تسبق الفرج، ويكون صاحبها فى صبر، يتم فيها تصفية النفس البشرية من شوائبها وأدرانها، والتخلص من عيوبها، ومن ثمّ يصبح طاهراً نقياً ويسمو فوق ذاته البشرية فينظر إليها من أعلى فيرى ما كان فيها من عيوب، فيصير مثل الملائكة، ومن ثم يمنّ الله عليه بالرحمة والتوبة فى تلك اللحظة لأنه أصبح مؤهلاً لذلك، بل أصبح قيمة ومثلاً يحتذى به فى الطهر والنقاء اللذين نحتاج إليهما حتى نتخلص من عيوبنا الذاتية المتمثلة فى الغرور والعجب والأنانية والغيرة, والحقد والحسد والركون إلى الدنيا وازدراء الآخرين، والإحساس بأننا فقط العظماء المتفردون وغيرنا دون ذلك.

هذا ما يحدثه الصبر في النفس البشرية المخطئة، وإذا كان الخطأ طبع بني آدم؛ فإن خير الخطاءين التوابون كما أخبر بذلك الرسول الكريم عليه السلام، فإننا نحتاج

إلى توبة، ومن ثمّ نحتاج إلى صبر حتى يتسنى لنا قبول التوبة، (فالبيئة الحافلة بالبشر الصبورين المفعمين بالفهم يستطيع كل امرئ أن يتطور تطوراً أفضل من حيث الجوهر، وأن يستكمل تطوره، ويحس كل امرئ بالمزيد من السرور بالإبداع وبالحياة)[٥٣]

ونحن في زماننا الذي عج بمشكلات متجددة، ومستحدثات مستمرة ومتطورة، بحاجة إلى الصبر ومعرفة كيفية التعامل معها حتى لا نفقد هويتنا بين الأمم فنخسر الدنيا والآخرة، وقد نظر بطل قصتنا كعب رضي الله عنه، لمشكلته بمنظور أوسع ورأى ببصيرته التوبة قادمة من الله، وما عليه سوى الانتظار، فمشكلات اللحظة قد تصبح في ساعة أو يوم أوسنه مجرد ذكرى، ومن ثمّ يجب أن ترى نفسك بطريقة التصور الحي vivid imagery كيف ستكون في المستقبل،...، وأن تتعامل مع الظروف السيئة المحيطة على أنها حتما ستنتهي وستمر، وأن الحياة ستواصل مسيرتها بالرغم من كل ما قد تضعه أمامنا من عراقيل أو مأسى،...، وهذا يتطلب أن ننظر للمشكلة في أطار زمني أوسع، وأن نعمل على تنمية أنواع جديدة من السلوك الإيجابي، وأن نوقف أنواعاً قديمة من السلوك السلبي" [٥٤].

ولما انتظر النبي عليه الصلاة والسلام مدة ولم تنزل التوبة من الله تعالى على كعب وصاحبيه، أمرهم نبي الهدى عليه السلام باعتزال نسائهم، فإذا كانت المقاطعة الخارجية من الصحابة لم تأت ثمارها، لذا فهم مازالوا يحتاجون إلى مزيد من المقاطعة، ولابد أن تكون المقاطعة هذه المرة داخلية من الأسرة، من السكن، من الزوجة التي تأنس النفس بها، فهم في ذلك كأنهم في حبس انفرادي (كما يسمى اليوم) مع ذواتهم فقط، وهو أقسى أنواع السجن أن يحبس المرء مع ذاته، فتجلده الذات على طريقتها، وهذا

---

٥٣ - بيتر وكميل (٢٠٠٥، ١٤٣)، مرجع سابق.

٥٤ - انظر : عبد الستار إبراهيم (١٩٩٨) : الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليب علاجه، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٩، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص٢٧٦.

كله إمعاناً في التطهير، وزيادة في السمو والرقى بالنفس البشرية, حتى تتلقى التوبة من الله تعالى, وظل خبر توبتهم قرآناً يتلى عبر الدهور، فنتعلم منه مبدأ التوبة والاعتذار عما بدر منا نحو خالقنا ونحو عبيده، ثم نصبر على ما يحدث معنا بعد ذلك مهما كان فنطهر أنفسنا ونسموا بها فنكون كمن لا ذنب له كما أخبر بذلك النبي الكريم عليه السلام.

ويتطلب الصبر قدرة على الاحتمال وضبط النفس، والتروى فى مواجهة الشدائد والأزمات، وإيماناً عميقاً بثواب الصبرعند الله تعالى، كما يتطلب الكثير من التدريب للسيطرة على هوى النفس البشرية وانفعالاتها، كما يحتاج إلى الرجوع إلى العقل قبل التسرع فى اتخاذ القرارات والتروي فى التصرفات، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تحث عليه ، قال تعالى : ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾[٥٥]

هذا، ويساعد المرء على الصبر : الإيمان بقدر الله سبحانه وأنه نافذ لا محالة، يقول تعالى : ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير. لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم" [٥٦]، ويقين المرء الصابر بحسن الجزاء من الله تعالى حيث يقول :" "ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" [٥٧]، إدراك المرء أن الدنيا زائلة عاجلا أم آجلا، وأن مصير الإنسان إلى خالقه لا محالة، وأن كل نعيمها زائل، وأن يعرف الإنسان أنه ملْك لخالقه ومن ثم له حرية التصرف فيه، والثقة بأن نصر الله قريب، وفرجه آتٍ لا محالة، وطلب العون من الله واللجوء إليه سبحانه فيكون معه وفى كنفه، والتماس القدوة بأهل الصبر، والتأمل في سيرهم، والبعد عن التعجل والغضب، وعدم الحزن على الدنيا الفانية، كل هذا من المعينات على الصبر.

---

٥٥ - سورة لقمان/ ١٧.

٥٦ - سورة الحديد/٢٢-٢٣.

٥٧ - سورة النحل/ ٩٦.

ولا ينبغي للمرء أن يخلط بين التذرع بالصبر وبين السلبية المجردة، فالاعتصام بالصبر هو أقرب ما يكون تكتيكاً ذكياً ، فالمرء يريد أن يبلغ شيئاً ما، ويدرك أو يحس أن مسار المسألة لا ينتهي إلى الشيء المرغوب فيه، أو أن أشكال المقاومة أكبر من أن يتصدى لها، ويستشعر المرء عن طريق غريزته، وعن طريق حدسه، أن المسألة لم تنضج بعد في اللحظة الراهنة، ولذلك يلقى السلاح هنيهة من الزمن، ومع ذلك فهذا لا يعنى أن المرء يتخلى عن الهدف، فالهدف مازال حاضراً في الذهن، ولكن المرء ينتظر فرصة جديدة أفضل، ومن درب نفسه على الصبر فسيتوفر له، على نحو مطرد الزيادة رصيد احتياطي من الهدوء والاطمئنان وسيتمتع بأساس انفعالى متين يستفيد منه نفسياً وفكرياً.

ثامناً : نسيان أفعال البر :

وهكذا يفعل عباد الله, فهذا صاحبنا كعب بن مالك رضي الله عنه، لم يذكر كل المعارك التي حضرها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقل : كنت وكنت، وفعلت وفعلت، ولم يتحدث عن أشعاره ومناقبه مع الإسلام والمسلمين ولكنه حدثنا عما حدث معه في قصة التخلف تلك، وقد اشار ابن القيم رحمه الله إلى ذلك فقال : فإن الله إذا أراد بعبد خيراً سَلب رؤية أعماله الحسنة من قلبه، والإخبار بها من لسانه، وشغله برؤية ذنبه، فلا يزال نصب عينيه حتى يدخل الجنة، فإن ما تُقُبِّلَ من الأعمال رُفِعَ من القلب رؤيته ومن اللسان ذكره.أ.هـ [٥٨]

والكثير من الناس فى عالمنا اليوم يكثر من التغنى بأعماله، وينسى أن الله أنعم عليه بها ووفقه لها ومنحه قوة أدائها، فلو ظل الإنسان متذكراً كل أعمال الخير التي

---

٥٨ – ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٧٤/٣ مرجع سابق.

عملها، وإذا ظل يرددها فإنه ربما اكتفى بما عمله، وهذا يدعوه إلى الكسل والتراخي، والحياة مهما طالت فهي قصيرة فينبغي المسارعة دوماً لفعل الخير وعدم الانتظار، ونسيان أو تناسى الأفعال الخيرة التي فعلها، وشعوره بالتقصير دوماً، فهذا يدعوه للجد والمثابرة، وهو ما دعا إليه الإسلام الحنيف، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ. وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾[٥٩]، فهذا كعب بن مالك رضي الله عنه توفر له كل شيء، ومع ذلك لم يلحق بالجيش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، بينما أبو ذر حمل متاعه على ظهره ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لما قعدت به راحلته، وهكذا المؤمن المثابر لا يتخلف عن المساهمة في أعمال والخير، ولا تقعده الأخطاء، ولا كثرة الانتقادات فهو أينما حل نفع، وهذا ديدن أصحاب البصيرة يستفيدون دائما من أخطائهم، وذلك في بناء أنفسهم والعلو بشأنها وتزكيتها، فسارع إلى فعل الخير، فأنت لا تدرى ما يعرض لك، هذا فضلا عن أن العمل يجعل الإنسان يسارع كل يوم لعمل شيئ جديد يفيده ويفيد مجتمعه الذي يعيش فيه، ومن ثم تتقدم المجتمعات ولا تتخلف، ففي عالم اليوم لا مكان للكسالى ولا الذين يكتفون بالفخر بأسلافنا فقط.

إننا نحتاج كل دقيقة من وقتنا بل كل ثانية، ولولا الأهمية العظيمة للوقت لما أفرد الله سبحانه وتعالى له سورة في القرآن الكريم وهى سورة العصر ولما جعلها النبي عليه الصلاة والسلام كفارة للمجلس تتلى في نهايته، وكل هذا للتذكير بقيمة الوقت، وماعمرك وعمرى إلا وقتاً وزمناً محددين، وما الأيام والليالى والسنون إلاساعات ودقائق وثوان، وإذا مرت منك دون الاستفادة منها فما هى قيمتك في الحياة؟، إنه أمر ينبغى الوقوف عنده والتأمل فيه، والاستفادة منه.

---

٥٩ - سورة الشرح/ ٧-٨.

تاسعاً : الصمود والصلابة النفسية :

نحتاج جميعاً إلى هذه الصفة في حياتنا، وليتنا نتسم بها، أعتقد والله أعلم أن كعباً رضي الله عنه؛ واحد من هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفة المهمة، حيث تعرض لهذا التدرج من العقوبة، فلم يهتز، ولم يتراجع عن موقفه الذى أعلنه صريحاً من أول وهلة، فمقاطعة الناس له أمر شديد على نفسه، ومن يتحمله لابد أنه يحظى بقدر عظيم من الصلابة النفسية، حيث كان يخرج ويصلى مع الناس ويتعامل معهم ولكنهم لا يكلمونه، إن لديه صلابة وقوة نفسية استمدها من إيمانه بالله وثقته به.

إن كعباً وأمثاله تلامذة النبي صلى الله عليه وسلم، الذي علمهم كيفية الثبات على المبدأ والصلابة النفسية فقد كان عليه الصلاة والسلام قدوة لهم في ذلك، ويكفى موقفه العظيم مع عمه أبى طالب، ولنقف لحظة لنستمع إلى كلمات الحق والإيمان والثبات على المبدأ تتردد على لسان صاحب الرسالة الخالدة لتعلن للدنيا كيف يكون اليقين والثبات، وكيف تكون التضحية والفداء وقوة الشخصية وصلابتها، ﴿ يَا عَمّ، وَاللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ ﴾[٦٠]، فأي ثبات على العقيدة والمبدأ والصلابة النفسية أعظم من ذلك؟ وأي امتحان للإيمان أكبر من هذا الامتحان؟ لو لم يكن لنبينا عليه الصلاة والسلام إلا هذا الموقف لكفاه على مر الزمان وتعاقب الأجيال, فخراً وشرفاً وخلوداً، ولكن حياته صلى الله عليه وسلم مليئة بالمواقف الخالدة,إذ هو القدوة والأسوة صلى الله عليه وسلم.

عاشراً : المقاطعة لتعديل السلوكيات الخاطئة :

وهى من أهم القيم التربوية التي نتعلمها من القصة، إذ بها ينضبط سلوك ذوى السلوك المعوج، فيستقر المجتمع وتستقيم أموره، ومن هذه القيمة العظيمة نتعلم

---

٦٠ – ابن هشام المعافري، عبد الملك، السيرة، ٢٦٣/١. بدون طبعة أو تاريخ.

الإيجابية في حياتنا ولا نكتفي بدور المتفرج أو المحايد أو السلبي، ولو أن الناس في أي مجتمع طبقوا هذه القيمة فقط على الأشخاص الذين يحدثون القلاقل في المجتمعات ويثيرون المشكلات، لم يكن أمامهم سوى اختيار واحد من خيارين :

١ – إما أن يرجعوا عن سلوكهم هذا ويعيدوا انخراطهم في المجتمع مرة أخرى ولكن بصورة أفضل.

٢ – وإما أن يرحلوا عن تلك المجتمعات التي لا تتعامل معهم راغبين التواجد في مجتمعات أخرى تتعامل معهم وهم لا يستطيعون العيش في مجتمع لا يتعامل معهم وإلا فكيف تستمر حياتهم.

وأسلوب المقاطعة وإن كانت مادية بحتة لأسباب قد تكون بعيدة عن الدين، في عصرنا هذا؛ جعل دولاً بأكملها تطور من موقفها وتعدل منه بغية النمو لمجتمعاتها، وهروباً مما تحدثه المقاطعة من معضلات، والمقاطعة أسلوب تربوي تعليمي يؤتى ثماره متى استخدم في الزمان والمكان المناسب ولفترة مناسبة, وهذا ما حدث بالتحديد في قصتنا.

يقول ابن القيم رحمه الله : وفى نهى النبيِّ صَلّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عن كلام هؤلاء الثلاثة من بين سائر مَن تخلّف عنه دليلٌ على صدقهم وكذب الباقين، فأراد هجرَ الصادقين وتأديبَهم على هذا الذنب، وأما المنافِقون، فجُرمهم أعظمُ من أن يُقابَل بالهجر، فدواء هذا المرض لا يعمل فى مرض النفاق، ولا فائدةَ فيه، وهكذا يفعلُ الرب سبحانه بعباده فى عقوبات جرائمهم، فيؤدِّبُ عبده المؤمن الذى يحبُه وهو كريم عنده بأدنى زَلّة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حَذِراً، وأما مَن سقط من عينه وهان عليه، فإنه يُخلَى بينَه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نِعمة، والمغرورُ يظن أن ذلك مِن كرامته عليه، ولا يعلم أن ذلك عينُ الإهانة، وأنه يُريد به العذابَ الشديد، والعقوبةَ التى لا عاقبة معها.[٦١]

---

٦١ – ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة : السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م، ٥٧٨/٣.

يقول صاحب كتاب: نظريات الإرشاد والعلاج النفسي : (أنه إذا كان هناك معنى للحياة فإن هناك معنى للمعاناة والألم، لأن الألم كالموت جزء لا يمكن تجنيه في هذه الحياة، ومن غير الموت والألم فإن الحياة لا يمكن أن تكتمل، ..، ومن غير المتوقع أن تقدم المواقف الخارجية السيئة للشخص فرصة لينمو أكثر أو أبعد من ذاته روحياً، وليحقق ذلك فإن الشخص يجب أن يكون لديه إيمانه بالمستقبل، وبدون هذا الإيمان فإنه سوف يستسلم ولن تكون لديه رغبة في الحياة، فبدون هدف وبدون أمل لا يوجد إحساس أو معنى للحياة، وليس هناك سبب للاستمرار،..، فالحياة تحدد مطالب لكل فرد ولكي يواجهها الفرد فإنه يتعين عليه أن يحدد معنى لحياته، وهذه المطالب تختلف بالنسبة لكل فرد، كما أن كل موقف مختلف يتطلب استجابة وحيدة وفريدة، وأحياناً يتعين على الشخص أن يتقبل قدراً أو ألماً، وكل شخص ألمه فريد، وفرصة النمو تكمن في الطريقة التي يتحمل الشخص بها هذا الألم).[٦٢]

ومن خلال الشعور بمعنى الألم والمعاناة The meaning of suffering يمكن أن يتحقق جوهر حياة الإنسان وليس فقط بالمتعة واللذة pleasure فيها فمواجهة المشكلات والآلام تعمل على بعث النشاط وتؤدى إلى النضج والنمو واكتساب الخبرة، هذا فضلا عن كونها تقضى على الرتابة والفتور في حياة الناس، فقد لا تعرف قيمة السعادة، إلا إذا عايشت الألم والمعاناة والحرمان، وقد لا تشعر بالراحة، إلا إذا خبرت معنى التعب وشعرت به، فالأشياء بضدها تعرف كما يقال، وكذا القبح والجمال والخير والشر، وفى الحياة مواقف لا يستطيع الإنسان أن يحقق فيها ذاته إلا من خلال المعاناة، وإذا كانت الانفعالات والمشاعر سبباً في المرض النفسى، فإنها سبب النمو والنضج والابتكار، ولهذا فإن تغيير أنظمة وقواعد التواصل بين الناس، وتنوع طرق التعبير يساعد على إيجاد

---

٦٢ – س.هـ. باترسون (١٩٩٠) : نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، الجزء الثاني، ترجمة حامد الفقي، الكويت : دار القلم، ص٤٦١.

لحظات الشعور Feeling Momentes.

ونظراً للطبيعة الصحراوية التي عاش فيها الصحابة الكرام والتي كانت مهداً للدعوة الإسلامية، فإن تلك البيئة لعبت دوراً كبيراً في التكوين الوجداني لأصحابها، ومن ثم فهم يتسمون بالأفق الواسع، ويحبون الحرية، ويكرهون القيود، لذا فإن أسلوب المقاطعة الذي قرره نبي الهدى محمد عليه الصلاة والسلام على هؤلاء المخلفين أثره شديد على أمثال هؤلاء، وقد أتى بثماره الطيبة ولله الحمد.

ونرى من خلال القصة التزام المؤمنين بأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فعلى الرغم من حبهم الشديد لكعب بن مالك رضي الله عنه؛ إلا أن التزامهم بأمر رسول الله، أجل وأعظم في نفوسهم، بعدم كلامهم حتى السلام لا يردونه عليه، وحتى صديقه فعل ذلك والتزم به، فتنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم، أمر لابد منه وهو مقدم في نفوسهم على كل اعتبار, وبالتأكيد يؤتى ثماره المرجوة منه، وهذا أسلوب تربوي رائع يعلمنا إياه نبي الهدى صلى الله عليه وسلم حيث مقاطعة أهل المعاصي تشعرهم بالإهمال وعدم القيمة ومن ثم يشعرون بجرم الخطأ الذي ارتكبوه فيمتنعوا عنه، وأما أن نشاركهم المأكل والمشرب ونصادقهم فكيف يعرفون أنهم على خطأ؟

لقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم أروع الأمثلة في الوفاء بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وعدم كلام هؤلاء المخلفين، لدرجة أنهم أشاروا للرجل النبطي الذي كان يسأل عن كعب رضي الله عنه، دون أن يكلموه، يقول ابن القيم رحمه الله في بيان ذلك : وفى إشارة الناس إلى النّبطى الذى كان يقول: مَن يدل على كعب بن مالك دون نطقهم له تحقيقٌ لمقصود الهجر، وإلا فلو قالوا له صريحاً : ذاك كعب بن مالك، لم يكن ذلك كلاماً له، فلا يكونون به مخالفين للنهى، ولكن لِفرط تحرّيهم وتمسكهم بالأمر، لم يذكروه له بصريح اسمه. وقد يقال : إن فى الحديث عنه بحضرته وهو يسمع نوع

مكالمة له، ولا سيما إذا جعل ذلك ذريعة إلى المقصود بكلامه، وهى ذريعةٌ قريبة، فالمنع من ذلك من باب منع الحيل وسد الذرائع، وهذا أفقه وأحسن.[٦٣]

والعالم اليوم، يتخذ هذه الوسيلة كأسلوب لمعاقبة دول بأسرها من خلال المقاطعات، فهو أسلوب من أساليب العقاب علمنا إياه نبي الهدى عليه الصلاة والسلام (مع الفارق بين طريقة تطبيقه في الشرع للتقويم، وطريقة تطبيقه في العصر الحديث بظلم وطغيان على بعض الدول الأضعف كما هو واضح) وذلك بهدف تقويم السلوكيات الخاطئة، ومن ثم علينا أن نلتزمه عند الاحتياج لذلك، وبشكل يؤدي إلى التقويم والإصلاح, ولكن ليس كل المشكلات تحتاج إلى ذلك الأسلوب من العقاب، فلا نقاطع الآخرين لأجل أنفسنا، أو لأجل عرض دنيوي زائل، فما غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط، ولكن كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله, هذا هو المعيار الصحيح للغضب أو استحقاق العقاب، وليس من أجل مصلحة شخصية، أو رغبة دنيوية، ولذا ساد الرعيل الأول الدنيا بأسرها، وضرب أروع الأمثلة في الإيثار والمثابرة والسمو فوق الذات، والعدل والإنصاف من النفس، أنهم صحابة خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، إن جميع أمورهم كانت لله, وفى الله, وإلى الله، فنعم الجوار جوار الله، ونعم العمل إذا ارتبط بالله، بل نعمت بالدنيا بأسرها؛ إذا اقترنت تصرفاتك فيها بالله.

وأكتفي بهذا القدر في بيان القيم التربوية التي تشتمل عليها هذه القصة العظيمة المليئة بالدروس النافعة، والعبر المفيدة، والقيم التربوية السامية, التي لو أخذنا في شرحها لما انتهينا منها، لأنها عن هؤلاء الصفوة المختارة من البشر، الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه – صلى الله عليه وسلم – وإقامة دينه، وأتمنهم على وحيه سبحانه، فرضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وجعل حنة الفردوس مثوانا ومثواهم, وألحقنا بهم.

---

٦٣ – ابن قيم الجوزية : محمد بن أبي بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ٥٨١/٣. مرجع سابق.

خاتمة

تناولنا خلال الصفحات السابقة بعض القيم التربوية المستمدة من حديث الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه، أحد المخلفين عن غزوة تبوك، وهذه القيم التربوية الإسلامية ما أحوجنا إليها هذه الأيام في عالم عج بالمشكلات وبعوامل الجذب والتشتت، وتغير فيه إيقاع الحياة، وتشابكت فيه مغرياته، بدرجة أفقدت الناس أمنهم واستقرارهم وسعادتهم، ومن ثم نحن في حاجة للنبع الصافي الذي يحمل في طياته سعادة الكون برمته، وهذا لا يتأتى إلا بعودتنا إلى شريعة الله، نستلهم قيمها وكنوزها حتى تعود للبشرية أمنها واستقرارها، ومن خلال معايشتي لهذا الموضوع يمكنني استنتاج النتائج الآتية :

أولاً : اشتملت قصة كعب بن مالك رضي الله عنه وتخلفه عن غزوة تبوك؛ على الكثير من القيم والمبادئ التي نحن في أمس الحاجة إليها، بحيث إنها أمثلة تحتذى في هذه الأيام، لتصحيح المفاهيم وتعديل السلوك والسير على الجادة في حياتنا.

ثانياً : وهذه القيم وتلك المبادئ التي اشتملت عليها القصة، من الأهمية بمكان؛ فقيمة الصدق، والوفاء، والكرم، والمشاركة الاجتماعية، والإخلاص، والصبر، والصمود والصلابة النفسية؛ كلها من القيم الرائعة التي جاء بها شرعنا الحنيف، ما أحوجنا إلى الاقتداء بها وتعليمها لأبنائنا، لتقويم سلوكياتهم، وغرس هذه القيم في نفوسهم ليشبوا عليها وينشروها في المجتمع.

ثالثاً : تذكير المجتمع بنعم الله سبحانه وبما تحتويه الشريعة الغراء من قيم تربوية، وجدت لصالح البشرية وسعادتها، واستقرارها والحفاظ على أمنها والبعد عن التطرف والتمسك بالفضيلة والعفة، وخصوصاً وقد شهدت المجتمعات العربية في السنوات الأخيرة مجموعة من المتغيرات السريعة المتلاحقة في العديد من المجالات،

عجز الإنسان عن مواجهتها والتكيف معها، وكذلك صعوبة السيطرة والتحكم فيها، وكان لهذه التغيرات أثرها في تشويه معاني الحياة الإنسانية، واضطراب منظومة القيم الحاكمة لسلوك الأفراد وتصرفاتهم.

توصيات : من خلال الصفحات السابقة يمكن أن أوصى بما يلي :

١ – العمل على إجراء المزيد من الدراسات التي تتناول القيم التربوية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومواقف الصحابة والتابعين والعلماء، وذلك حتى يشب أبناؤنا على هذه القيم بدلاً من القيم الهدامة التي يشربها أبناؤنا من خلال الثقافات الوافدة.

٢ – إجراء المزيد من الدراسات التربوية المشتركة بين الجامعات في العالم الإسلامي، وإقامة ورش العمل حول القيم التربوية الإسلامية، وأثرها في التصدي لبعض المشكلات التي يواجهها المجتمع، مثل عقوق الأبناء، والإرهاب بشتى صوره وأسبابه ونتائجه، والبطالة، وأطفال الشوارع، والعنف، ووضع الحلول المناسبة لها، والمساعدة في تطبيقها من أجل استقرار المجتمع وتقدمه.

٣ – ضرورة اهتمام علماء التربية وعلماء الدين؛ بإظهار القيم التربوية المستمدة من تعاليم الإسلام السامية، للعالم أجمع، وذلك عبر الندوات والبعثات، والفضائيات، وشبكات الانترنت، حتى تظهر الصورة الصحيحة للإسلام لدى غير المسلمين، مما يؤدي إلى دخول الناس في دين الله أفواجاً.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم جل من أنزله سبحانه.
- ابن قيم الجوزية. الإمام الحافظ أبو عبدالله : زاد المعاد في هدى خير العباد، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.
- ابن حنبل. الإمام أحمد (د.ت) : المسند، بيروت : طبعة دار الرسالة.
- البخارى. محمد بن إسماعيل : صحيح البخارى، طبعة الملجس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، بدون تاريخ.
- الذهبي. أبو عبد الله محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، بدون طبعة.

العسقلاني. أحمد بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، الناشر دار الجيل.

- الحارثي. إبراهيم محمد : العادات العقلية وتنميتها لدى التلاميذ، الرياض : مكتبة الشقري. ٢٠٠٢
- ابن منظور : لسان العرب، لبنان، بيروت : دار صادر بيروت.
- أبو زيد. أحمد: التطورات التكنولوجية وصدمات المستقبل، مجلة العربي، العدد ٥٩٤، عدد مايو، الكويت : وزارة الإعلام. ٢٠٠٨
- عواد. أحمد أحمد، خالد البدراوى محمد : البناء القيمى للشباب في المجتمع السيناوى ومدى تقبل أهل سيناء وأبناء الوادي لقيم وعلاقات مجتمعية جديدة، المؤتمر الدولى الثالث لمركز الإرشاد النفسى، القاهرة : جامعة عين شمس، الفترة من ٢٣-٢٥ ديسمبر. ١٩٩٦
- بيتر و.كميل : نشط حياتك، برنامج النقاط الأثنتى عشر من أجل حياة أكثر نجاحاً، ترجمة محمد جديد، المملكة العربية السعودية، الرياض : مكتبة العبيكان. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥مـ.

- جابر. عبدالحميد جابر: دراسة الفروق بين القيم لدى ثلاث عينات قطرية وفلسطينية وعربية عامة، جامعة قطر : مركز البحوث التربوية. ١٩٨٤
- زهران. حامد عبد السلام: علم النفس الاجتماعي، ط٢، القاهرة : عالم الكتب. ١٩٧٣
- عبد الرحمن. سعد : السلوك الإنساني، القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة. ١٩٧١
- س.هـ. باترسون : نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، الجزء الثاني، ترجمة حامد الفقي، الكويت : دار القلم. ١٩٩٠
- الريس. سيد: وداعاً للقلق، كتاب اليوم الطبي، العدد ١٩٥، القاهرة: دار أخبار اليوم. ١٩٩٨م
- اللبان. شريف درويش: تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠٨
- رضوان. شعبان جاب الله، عادل محمد هريدي: العلاقة بين المساندة الاجتماعية وكل من مظاهر الاكتئاب وتقدير الذات والرضا عن الحياة، مجلة علم النفس، العدد الثامن والخمسون، القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠١
- زاهر. ضياء الدين: القيم في العملية التربوية، القاهرة : مكتبة نهضة مصر. ١٩٨٤
- العيسوي. عبد الرحمن: دراسات في علم النفس الاجتماعي، الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية. ١٩٨٥
- إبراهيم. عبد الستار: الاكتئاب، اضطراب العصر الحديث، فهمه وأساليب علاجه، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٩، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ١٩٩٨

- علوان. عبد الله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، الجزء الثانى، بيروت : دار السلام للطبع والنشر والتوزيع. ١٩٨١.
- خليفة. عبداللطيف: العلاقة بين الاغتراب والمفارقة القيمية لدى عينة من طلاب الجامعة، المؤتمر السنوى الثامن لمركز الإرشاد النفسي، القاهرة : جامعة عين شمس، الفترة من ٤-٦ نوفمبر ٢٠٠١.
- أبو حطب. فؤاد عبد اللطيف: القدرات العقلية، القاهرة : الأنجلو المصرية. ١٩٩٠.
- الصراف. قاسم: المفاهيم التربوية للقيم المتعلقة بالتسامح في مناهج المرحلة الابتدائية، مجلة العلوم التربوية، مركز البحوث التربوية والمناهج بالكويت، العدد ١٣، السنة ٥. ١٩٩٥.
- دسوقي. كمال: ذخيرة علوم النفس، المجلد الثانى، القاهرة : مؤسسة الأهرام. ١٩٩٠.
- الفيروز أبادى. مجدى الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، الطبعة الخامسة، بيروت : مؤسسة الرسالة. ١٩٩٦.
- حنورة. مصرى، راشد السهل، حسن أحمد عيسى: تطور منظومة القيم لدى الشباب الكويتي عبر خمسة عشر عاماً : دراسة تتبعيه مقارنة، المؤتمر الدولي الخامس لمركز الإرشاد النفسي : جامعة عين شمس، الفترة من ١-٣ ديسمبر ١٩٩٨.
- فهمي. مصطفى ومحمد القطان: علم النفس الاجتماعي : دراسات نظرية وتطبيقات عملية، القاهرة : الأنجلو المصرية. ١٩٧٥.
- حسين. نازلي إسماعيل: الإنسان والقيم في الشرق والغرب، القاهرة: جامعة عين شمس، مكتبة كليه البنات. ١٩٨١.

- عبد الله. هشام إبراهيم: المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاكتئاب واليأس لدى عينة من الطلاب والعاملين، المؤتمر الدولي الثاني، مركز الإرشاد النفسي، كلية التربية، جامعة عين شمس، الفترة من ٢٥ — ٢٧ ديسمبر. ١٩٩٥.
- وزارة التربية والتعليم (١٤٢٥هـ /٢٠٠٤م) : المعجم الوجيز، القاهرة : مجمع اللغة العربية، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم.

- Sherbourne, C., (1988) : The role of social support and life stress events in use of mental health services, social science and medicine, vol., 27, 12, pp. 1393 – 1400.
- Schwartz s.H. and Bilsky w., (1987) : Toward A universal psychological structure of human values, journal of personality and social psychology, 53,3,p.p.550-562.
- Musser, s.J.and Ork, E.A., (1992) : Ethical value systems : A Typology, Journal of applied behavioral science, 28,p.p. 348-362.
- Neuman, J.K., and Lippien, F.V. (1997) : Impact of Religious values and medical specialty on professional In service decisions, Journal of psychology and theology, 25,4,p.p.437-448.